مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

# الجنسية المثلية من منظور الجمعية الأمريكية للطب النفسي وعلاقتها بسؤال الأخلاق.

# Homosexuality from the perspective of the American Psychiatric Association and its relationship to the question of morality.

**بشقه عزالدين**
مخبر بنك الاختبارات النفسية والمهنية والمدرسية؛ جامعة الحاج لخضر -باتنة
azzeddine.bechka@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام: 2019/09/21 تاريخ القبول: 2021/05/11

**ملخص -**

رفعت الجمعية الأمريكية للطب النفسي (APA) تحدي تصنيف وتشخيص الأمراض العقلية والنفسية، بتوحيد المعايير من أجل توحيد الرؤى بين الباحثين عالميا، بيد أن هذا الجهد يصطدم بإشكالية كبرى متعلقة بتطبيق الرؤى والأحكام على جملة الأمراض على غرار الجنسية المثلية التي عرفت منذ نشأة المصطلح وتنامي الظاهرة نقاشا حادا، أفضى في النهاية إلى عدم اعتبارها مرضا وبذلك سقوطه من تصنيف الدليل التشخيصي والإحصائي (DSM).

هذا التوجه الذي آلت إليه هذه المؤسسة العلمية برضوخها لتأثيرات اجتماعية وسياسية، جعلت العلوم الاجتماعية عموما وعلم النفس والطب العقلي تحديدا يواجه تحديا متعلقا بسؤال الأخلاق وموقعها في البحث العلمي عموما وفي تصنيف الأمراض خصوصا، وهذا ما ستحاول هذه الورقة الإجابة عنه عبر تتبع تاريخ المصطلح وتنامي ظاهرة المثلية الجنسية وانتهاء بالإجابة عن سؤال الأخلاق وعلاقته بالبحث العلمي.

الكلمات الدالة: الجنسية المثلية، الجمعية الأمريكية للطب النفسي، تصنيف الأمراض الجنسية، سؤال الأخلاق.

المؤلف المرسل: بشقه عزالدين: azzeddine.bechka@univ-batna.dz

**Abstract**:

The American Psychiatric Association (APA) has raised the challenge of categorizing and diagnosing mental and psychiatric diseases in order to unify the standardization of visions among researchers globally. However, this effort collides with highly problematic in applying visions and judgments to a range of diseases such as homosexuality, which has been known since the inception of the term. A heated debate ultimately led to the fact that it was not considered a disease and thus fell from (DSM) classification.

This orientation of this scientific institution with its acquiescence to social and political influences, has made the social sciences in general and psychology and psychiatry in particular face a challenge related to the question of ethics and its position in scientific research in general and classification of diseases in particular, and this is what this paper will try to answer by tracking the history of the term and the growing of Homosexuality phenomenon and ending with the answer to the question of ethics and its relationship to scientific research.

**Key words**:

Homosexuality; American Psychiatric Association; Sexual Disease Classification; question of morality.

## مقدمة إشكالية:

قامت فكرة خلو العلم من القيم بدور محوري في فهم العلم الحديث لنفسه وفي تصور الناس له حيث عبر عنها بوانكاريه بقوله: " لكل من علم الأخلاق والعلم مجاله الخاص، الذي يتماس دون أن ينفذ في الآخر، الأول يرينا الغايات التي ينبغي أن نتطلع إليها، في حين يعلمنا الثاني سبل تحقيق الأهداف، حال تحديدها. ولأنهما لا يلتقيان إطلاقا، فإنهما لا يتعارضان البتة، ليس هناك علم لا أخلاقي إلا بقدر ما هناك من أخلاقيات علمية"(هيو ليسي، 2015 ، ص25)

بين نسبية الأخلاق ومطلقيتها، ينطلق العقل ليكابد عثرات الوجهة التي اختارها وفي رحلة توطين موقعها بين برانيتها وجوانيتها تتأرجح الأخلاقيات المهنية بين اللذة والحرية لتصبح حبيسة فكر المنفعة وليس الواجب.

وبين حرية البحث العلمي استكشافا للحقيقة العلمية وفرض معايير أخلاقية جديدة بالاستخدام التعسفي لسلطة المؤسسة العلمية (الجمعية الأمريكية للطب النفسي)، تسري العلاقة بين مؤسسات البحث العلمي والقيمة

الأخلاقية في منطق ضبابي تنتكس فيه القيم العالمية الشائعة في البحث على غرار الموضوعية والعقلانية والشفافية إلى منطق هيمنة الرؤى الذاتوية.

ففي الطبعة الأولى من الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية، التي نُشرت قبل 65 عامًا من طرف الجمعية الأمريكية للطب النفسي، تم تقنين الشذوذ الجنسي كاضطراب نفسي حقيقي، "اضطراب في الشخصية الاجتماعية"، وقبلها حتى عام 1987 لم يكن كذلك، وبعد 35 عامًا، تم شطب المثلية الجنسية من الدليل.

لقد كان منذ البداية الصراع محتدما بين أولئك الذين يعتبرون المثلية الجنسية اضطرابا و بين معارضيهم، فقد جادل هيرشفيلد وإليس بأن الشذوذ الجنسي كان "فطريًا وبالتالي طبيعيًا"، حيث أن دراسة التحليل النفسي للجنس التي ابتكرها فرويد رأت أن "العلاقة بين الجنسين تمثل النهاية الطبيعية للتطور النفسي الجنسي"، وكتب فرويد نفسه أن المثلية الجنسية "لا يمكن تصنيفها على أنها مرض"، لكن ساد الرأي القائل بأن الشذوذ الجنسي "غير طبيعي" على أولئك الذين اعتبروه كمتغير طبيعي للجنس البشري، وكان هيمنة مثل هذه الآراء هي التي حافظت على الشذوذ الجنسي داخل علم الأمراض النفسية خلال معظم القرن العشرين(George, Mendelson, 2013)

كما كان يبدو منطقيا وواقعيا منذ البداية أن هناك علاقة قوية بين مفهوم الانحراف الجنسي وفكرة الجنس غير الطبيعي، فلن نقول أن نوعًا معينًا من السلوك الجنسي هو انحراف جنسي، لأنه من الممكن أن ينخرط الإنسان فيه، ولكن يتم التأكيد على هذا الارتباط بين غير الطبيعي والمنحرف بشكل خاص في النظرة التقليدية للجنس على أنه مرتبط بالإنجاب والزواج. هذا الرأي يدين كل ما عدا الجنس الزوجي التناسلي، وتستند الإدانة إلى الحجة القائلة بأن الإنجاب هو الغرض أو الوظيفة الطبيعية للأعضاء والأفعال الجنسية، مما يعني أن أنواع السلوك الجنسي التي تدان بسبب عدم الامتثال لهذا الغرض أو الوظيفة هي أيضًا غير طبيعية أو منحرفة.

كما يبدو أن ربط فكرة الانحراف الجنسي بفكرة الطبيعة والتمييز بين الطبيعي وغير الطبيعي يعطي الاستخدام المعنوي المدان للمصطلح قوة معينة بالإضافة إلى قدر من الموضوعية، وفي سياقات معينة، للسلطة العلمية

للحكم عليها. لكن اللاأخلاقية الضمنية في منطق الإنسان غير تقليدي قد وفر أرضية موضوعية وتأويلا يبحث فيه عن صلابة الرأي، رغم أن الطبيعة نفسها تدين الممارسة المنحرفة، وهو ما يجعل المثلية الجنسية ضد القانون الطبيعي والعقد الاجتماعي(Brian, Camenker, 2017, p21)

ينطلق الفكر الغربي في دراسته للإنسان من إسقاط حركته في الوجود ضمن قانون المادية الطبيعية حيث يتموقع القانون المسير لحركته على خط متصل بالحيوانية التي صنفت فيها البشرية، والتي يحكمها لغة القطيع أي الغريزة الجمعية (gregarious instinct) وليس الاجتماع( vouloir sociétal).

بدأ الفكر الغربي حصر مفهوم الإنسان في خانة البشر التي صبغوها بصيغة الإنسانية كصفة(humanité) بغية إضفاء عليها خصائص، حيث كان الإنسان العاقل(homo-sapiens ) منطلقها الأول(Wolpoff, 1986 )؛ بيد أن صفة الإنسانية تحمل معناها المغاير للبشر الأول "القطيع " منذ آدم عبر الاصطفاء لا عبر استمرار السلالة (محمد أبو القاسم، 2004)، حيث أن الآدمية ( Adamité) هي أرقى صورة للبشر بإضافة الخُلق (éthique) لصفة البشر الأولى (العقل).

لقد نعت الفكر الغربي عبر مراحل تطوره الإنسان بالحيوان الناطق باكتساب اللغة وكأن اللغة أداة تمايز ومفارقة عن الحيوان، ثم كائنا اجتماعيا محدثا تماثلا تكوينيا ووظيفيا مع بقية الحيوانات بسبب ما يتشاركان في شروط الاجتماع، ثم وصمه بالحيوان السياسي (Willoughby.P, 2005, p62)

في هذه النقلة الخطية بداية من عالم الحيوان، تتجسد صورة الإنسان في الفكر الغربي وكأنه محكوم بقانون الجبرية ' الغرائز والحتمية المادية " مطبقا قوانين الحياة الحيوانية على البشر جاعلا من الحرية هامش مناورة يلجأ إليها الإنسان لتحقيق التفوق الذي يستمده من العقل والارتقاء التكويني البيولوجي، ومتخذا من الحرية وسيلة لكسر جبرية الطبيعة الحيوانية تارة لتلبية رغباته، أو مصوغا لمسايرة تطلعات المتعة (Hédonisme) اللامتناهية تارة أخرى(Miche,Onfray,2010)

فإذا كان – منطق التكميم الذي تساير به العلوم الإنسانية والاجتماعية منهج علوم الطبيعة والمادة مقبولا حيث أن لا مناص للوصول إلى

الحقيقة إلا عبر نهج العلم وقابلية التبادل للمناهج بين العلوم بعيدا عن الحكم النهائي والغلق لأفق البحث عن مناهج تخدم التحقق من مصادر المعرفة، حيث أن التجربة تظل فيها محكومة بمنطق مسلمات أخلاقية مشتركة بين كل الإنسانية - فإن الواجب والمسؤولية الأخلاقية في مضمار العلم، تُلزم الباحث بالنقد وتصويب مسارات البحث العلمي بداية من الإشكاليات المطروحة مرورا بالمناهج وانتهاء بنتائجها وانعكاساتها على حياة الإنسان.

هذه الحياة التي أطلق فيها الفكر الإنساني العنان للإبداع والتقنية لتلبية حاجياته تنفصل فيها الأخلاق عن البحث العلمي بدواعي الفضولية واستكشاف المجهول بداية بالسلاح المدمر وانتهاء بالاستنساخ (كأمثلة) حيث يرتسم مستقبل الإنسانية على خطى من الخوف بدلا من الأمان، طالما أن الضمير المشبع بالأخلاق يتنصل منه بداية ليفسح المجال لتلبية الرغبات ثم يعودون إليه بعد تحقيق الفرضيات ليحاكم هذا الضمير النتائج عبر الرؤى الدينية المتعددة.

لقد دفعت الجمعية الأمريكية للطب النفسي بثقلها - رغم مجهوداتها الايجابية في التعريف وتشخيص الأمراض - إلى رسم معالم الباثولوجيا البشرية في اتجاه توحيد الرؤى من أجل توحيد التوصيف بعيدا عن الخصوصيات الثقافية، بل سارت بعيدا بمنطق ابستمولوجي إلى الاحتكام للنزعات الفردية والوقوع تحت تأثير القوى الاجتماعية والسياسية لكي تفرض أحكاما قيمية نابعة من مبادئ عالمية كالحرية والسعي لتحقيق رغبات الإنسان حيث يظهر تصنيف الأمراض الجنسية وبالتحديد المثلية الجنسية كأنموذج لهذه الرؤية.

ففي ظل اتساع دائرة الحرية الشخصية في العالم لدرجة عجيبة - وبخاصة ممارسة الجنس - حتّى أنّها تجاوزت كل الثوابت الإجتماعية، وحماها القانون ما دامت برضى صاحبها إذا تجاوز سنَّ الطفولة (احتفظ التصنيف الدولي للأمراض كاضطراب إلا بالغلمنة) (APA ,2013)، فأصبح المراهق يعمل ما يحلو له شخصيًا، رغم قلّة خبرته وضعفه في تقدير العواقب، ونتيجةً لذلك عرف الشباب من المتعة في حماة الثورة الجنسيَّة حتى سئموا الطرق التقليدية في الممارسة الجنسية، فطفقوا يبحثون عن جرْعات وممارسات جديدة

وغير مألوفة، لتُؤمّن لهم مزيدًا من المتعة واللّذة، دون اكتراث للعواقب، فكان أن راجت هذه الممارسات وأصبح لهؤلاء نوادٍ ومسابح وشواطئ وأحياء ومواقع وأصبحت لهم جمعيات رسمية مدعومة، ومن أعضائها من يتبؤوا أرفع المناصب السياسية في العالم واستحدثت قوانين رسمية في أمريكا وبعض الدول الأوروبية وغيرها، تُجيز الزواج المثلي وتقرر لهؤلاء حقوق رسمية معترف بها (وحتى بمباركة الكنيسة)، وتسابق الساسة في الغرب لدعم ذلك، طمعًا في أصوات الشّواذ جنسيًا عند الانتخابات، حتّى أصبح من لا يتقبل فكرة الشذوذ يشمله نعت مصطلح " فوبيا الشذوذ الجنسي " ولذلك يُفضل الكثيرون في الغرب السكوت وعدم طرح آرائهم الشخصية في هذا المجال لتفادي هذا اللقب المشين.

وخوفًا من سطوة ونفوذ جمعيات الشّواذ جنسيًا وجمعيات حقوق الإنسان، ورُغم أنّ العلم الحديث مازال في طور البحث لمعرفة ماهية هذا السلوك ( الشذوذ ) إلّا أنّ الدراسات السطحية والمُنحازة التي تروج لها بعض الوسائل الإعلامية جعلت الكثير في الغرب يعتقدون أن موقف العلم موحد وواضح ومفاده أنّ الشذوذ ما هو إلا تنوع طبيعي للاتجاه الجنسي، إلّا أنّ تلك الوسائل لا تُظهر في الوقت نفسه انتقادات العلماء لمثل هذه الأبحاث، ولا الأبحاث التي تُثبت غير ذلك، وهذا الموقف لوسائل الإعلام ما هو إلّا جزء من الثقافة الحالية وتخوف شديد من هجوم جمعيات حقوق الإنسان وجمعيات الشّواذ جنسيًا، والتي أصبح لها ثقل سياسي كبير في الغرب في الوقت الحالي.

لقد رضخت الجمعية الأمريكية للطب النفسي هي الأخرى لهذا الأمر الواقع الموصوف واستثمرت انطلاقا من موقعها العلمي في ضبابية مقصودة تحت مسميات متعددة بداية بالموضوعية في حذف تصنيف الجنسية المثلية كاضطراب وتبرمت من علاقة الأخلاق بالعلم صياغة ونتائج مما استدعى إعادة طرح التساؤل التالي: ما موقع سؤال الأخلاق أمام التحولات الكبرى في تطبيقات العلوم الاجتماعية؟ وما حدود الأخلاقية العلمية المهنية الممارسة من قبل مؤسسة علمية (الجمعية الأمريكية للطب النفسي) في تصنيف الشذوذ الجنسي، هل هو نابع عن نتائج دراسة علمية أم تأثير للقوى الاجتماعية؟

**1 - السلوك الجنسي المثلي وعلم الأمراض**

تعتبر نظريات علم الأمراض أن المثلية الجنسية مرض، وهي حالة تنحرف عن "النمو الطبيعي" للمغايرين جنسيا(Krafft-Ebing, R, 1965) فوجود سلوك أو مشاعر غير نمطية بين الجنسين هي أعراض المرض أو الفوضى التي يحتاج إليها أخصائيو الصحة النفسية عند التشخيص أو التصنيف. وتعتقد هذه النظريات أن بعض العيوب الداخلية أو العوامل المرضة الخارجية تسبب المثلية الجنسية وأن مثل هذه الأحداث يمكن أن تحدث قبل أو بعد الولادة (أي التعرض الهرموني داخل الرحم، أو الأم المفرطة، أو الأبوة غير طبيعية أو العدائية، أو الاعتداء الجنسي...). تميل نظريات علم الأمراض إلى اعتبار الشذوذ الجنسي كعلامة على وجود خلل، أو حتى كسوء أخلاقي، مع أن بعض هؤلاء النظريين منفتحون تماماً حول اعتقادهم بأن المثلية الجنسية هي شر اجتماعي. على سبيل المثال، كتب الطبيب والمحلل النفسي إدموند بيرغلر (Bergler.E ) بشكل سيئ في كتاب لعامة الجمهور "ليس لدي أي تحيز ضد المثليين جنسياً؛ بالنسبة لي هم مرضى يحتاجون إلى مساعدة طبية .. ومع ذلك، لا يوجد لدي أي تحيز، أود أن أقول: إن المثليين جنسياً هم أشخاص محبطون، بغض النظر عن طريقتهم السارة أو غير السارة ... إن غلافهم هو مزيج وهمي من الإكبار والعدوان، مثل جميع المازوشيين، هم خاضعون عندما يواجهون شخص أقوى، لا يرحمون عندما يكونون في السلطة، عديمي الضمير بالدوس على شخص أضعف"(Bergler ,E,1956)

أما أصحاب النمو ونضجه، يعتبر التعبير عن المشاعر الجنسية أو السلوك في سن مبكرة كخطوة طبيعية نحو تطور العلاقة الجنسية بين البالغين(Sullivan, H.S, 1953; Freud,S, 1953) ومع ذلك، فإن "اللواط"، باعتباره "توقف عن النمو"، مساوٍ للنمو المتعذر. هؤلاء الذين يتمسكون بهذه النظرية يميلون إلى اعتبار عدم النضج حميدا نسبيا، أو على الأقل ليس "سيئا" بالمقارنة مع أولئك الذين يفكرون في أن المثلية الجنسية هي شكل من أشكال أمراض علم النفس المرضي. في الوقت الذي اعتبر فيه آخرون أن المثلية كظاهرة تحدث بشكل طبيعي (Kinsey et al,1948; Kinsey et al,1953). عادة ما تعتبر هذه النظريات أن الأفراد المثليين جنسياً وكأنهم يولدون مختلفين، لكن هناك

فرق طبيعي يؤثر على أقلية من الناس، فالاعتقاد الثقافي المعاصر بأن الناس "ولدوا مثليين" هي نظرية الاختلاف الطبيعي. بما أن هذه النظريات تساوي العادي مع الطبيعي، فإنها تحدد المثلية الجنسية على أنها جيدة (أو في الأساس محايدة)، فهي (النظريات) لا ترى مكاناً للشذوذ الجنسي في دليل التشخيص النفسي.

قام د. سيغموند فرويد بتفنيد نظريات هيرشفيلد عن التنوع الطبيعي ونظرية كرافت إيبينغ في علم الأمراض، ووضع نظرية بديلة يمكن أن تجد طريقها إلى الخيال الشعبي. كان يعتقد أن الجميع يولدون بميول ثنائية جنسية، وبالتالي فإن التعبير عن المثلية الجنسية يمكن أن تكون مرحلة طبيعية للتطور بين الجنسين. هذا الاعتقاد في الازدواجية الفطرية لم يسمح بوجود محتمل للجنس الثالث لـ هيرشفيلد الذي يخلص إلى:"إن الأبحاث التحليلية النفسية تعارض بكل تأكيد أي محاولة لفصل المثليين جنسياً عن بقية البشر كمجموعة ذات طابع خاص" (Freud .S, 1953,p 15) علاوة على ذلك، جادل فرويد بأن المثلية الجنسية لا يمكن أن تكون "حالة ارتكاسية" كما ذهبت نظرية كرافت إيبنج .

وبحلول نهاية حياته، كتب فرويد " إن المثلية الجنسية ليست بالتأكيد خاصية ولكنها لا تخجل من أي شيء، لا من الرذيلة، ولا من التدهور. لا يمكن تصنيفها على أنها مرض؛ نحن نعتبرها تبايناً في الوظيفة الجنسية، التي ينتجها توقف معين للنمو الجنسي " (Freud,S ,1955).

بعد موت فرويد في عام 1939، وقبل هدم الإمبراطورية الفرويدية (هانز أزينك، 2013) أصبح معظم المحللين النفسانيين للجيل الموالي ينظرون إلى المثلية الجنسية على أنها مرضية، وعرضوا فهمًا منقحًا للمثلية الجنسية بالإضافة إلى "علاجات" التحليل النفسي التي أفلتت من مؤسس الحقل. استندت وجهات نظرهم إلى نظريات ساندور رادو (Rado,S, 1940; 1969) الذي قام بتنظير عمل بيبر وآخرون. (Bieber Et al, 1962) وادعى، على النقيض من فرويد، أنه لم تكن هناك ازدواجية في الفطرة الجنسية ولا المثلية الجنسية العادية. كانت العلاقة الجنسية بين الجنسين هي المعيار البيولوجي الوحيد

ومفهوم الشذوذ الجنسي على أنه تجنب "رهابي" للجنس الآخر بسبب عدم كفاية الأبوة والأمومة.

أما المعتقدات الجندرية فهي تقف على أفكار ثقافية ضمنية حول الصفات "الأساسية" للرجال والنساءDrescher(2015, J ,). "فالرجال الحقيقيون" و"النساء الحقيقيات" هم أساطير ثقافية قوية يجب على الجميع أن يدافع عنها، فالناس يعربون عن معتقدات النوع الاجتماعي وتقاليدهم الخاصة في الثقافة التي يعيشون فيها وإلى كل جانب من جوانب الحياة اليومية تقريباً، بما في ذلك الاهتمامات الدنيوية مثل ما يجب على الرجال ارتداءه وكذا حول الوظيفة التي يجب على المرأة أو الرجل امتهانها ( بشقه عزالدين،2019)

تحتوي العديد من الدراسات العلمية حول المثلية الجنسية على معتقدات ثنائية (ذكر/ ذكر، أنثى/أنثى) (وغالبًا ما تكون صريحة). على سبيل المثال، تؤكد فرضية الشذوذ الجنسي للمثلية الجنسية (Byne,W ,1995; Drescher et al,2016 ) أن أدمغة الأفراد المثليين تظهر خصائص يمكن اعتبارها نموذجية أكثر من الجنس الآخر. إن المعتقد الجندري الجوهري المتضمن في فرضيات ثنائيي الجنس هو أن جاذبية المرأة هي سمة ذكورية، والتي في حالة سيغموند فرويد(Freud. S, 1955) على سبيل المثال، أدت إلى القول في نظريته بأن السحاقيات لهن علم نفس رجولي. وبالمثل، افترض الباحثون البيولوجيون أن الرجال المثليين لديهم أدمغة تشبه إلى حد كبير تلك الخاصة بالمرأة (LeVay, S ,1991) أو أنها تتلقى شظايا إضافية من كروموسومات X (أنثى) للأمهات ( Hamer al, et,1994)

بالنسبة لكثير من التاريخ الغربي، كانت التصريحات الرسمية عن معاني السلوكيات المثلية الجنسية في المقام الأول هي مقاطعة الأديان، واعتبر الكثير منها أن المثلية الجنسية "سيئة" أخلاقيا(Bullough,V,1979) ، ومع ذلك، فمع تحول الثقافة الغربية في القرن التاسع عشر من السلطة الدينية إلى العلمانية، حصلت السلوكيات المثلية، مع العلم أن التاريخ الحديث للشذوذ الجنسي عادة ما يبدأ في منتصف القرن التاسع عشر، وعلى الأخص مع كتابات كارل هاينريش أولريش(Ulrichs .K, 1979) ، ومن خلال دراسته في القانون واللاهوت والتاريخ يمكن اعتباره من أوائل المدافعين عن حقوق المثليين الذين كتبوا سلسلة من المسالك السياسية تنتقد القوانين الألمانية التي تجرم العلاقات

الجنسية بين الرجال. وافترض أن بعض الرجال قد ولدوا بروح امرأة عالقة في أجسامهم كما عرّف امرأة التي ندعوها اليوم بالسحاقية، بأنها روح الرجل المحبوسة في جسد امرأة.

في عام 1869، ابتكر الصحفي المجري كارولي مارية كيرتبيني لأول مرة مصطلح "المثليين جنسيا" في مقالة سياسية ضد الفقرة (143)، وهو قانون بروسي تم تقنينه فيما بعد في الفقرة 175 في ألمانيا التي جرمت سلوك المثليين الذكور.(Katz, J, 1995 ). وطرح كيرتبيني نظريته بأن الشذوذ الجنسي فطري وغير قابل للتغيير، وهي الحجج التي تقول إن ذلك كان تغييراً طبيعياً، باعتباره موقفا مضاداً ضد المواقف الأخلاقية للإدانة التي أدت إلى إقرار قوانين اللواط.

هذا الاتجاه في الدراسات التي وصمت الظاهرة المثلية بالمرضية، عاكستها دراسة ألفريد كينزي (Kinsey.A) والمتعاونين معه(Kinsey et al,1948,p53) حيث كشفت تقاريره التي أجرت مسحًا لآلاف الأشخاص الذين لم يكونوا مرضى نفسيين، أن المثلية الجنسية أكثر شيوعًا في عموم السكان مما كان يُعتقد عمومًا، على الرغم من أن إحصاؤه الشهير حاليًا"10٪" يُعتقد أنه أقرب إلى 1٪ -4 ٪ (Laumann et al,1994). كانت هذه النتيجة تتناقض بحدة مع ادعاءات الطب النفسي في ذلك الوقت بأن المثلية الجنسية كانت نادرة للغاية في عموم السكان. أكدت دراسة فورد وبيتش((Ford & Beach,1951 عن الثقافات المتنوعة والسلوكيات الحيوانية، وجهة نظر كينزي بأن الشذوذ الجنسي أكثر شيوعًا وأنه وجد بانتظام في الطبيعة. في أواخر الخمسينات، نشرت إيفلين هوكر(Hooker, E, 1957 )، وهي عالمة نفسية، دراسة أشارت فيها إلى نتائج اختبار نفسي لثلاثين من الرجال المثليين الذين لديهم 30 تحكمًا مغايراً للجنس، لم يكن أي منهم من المرضى النفسيين. لم تجد دراستها أي علامات على اضطرابات نفسية في مجموعة المثليين الذكور، وهي النتيجة التي دحضت المعتقدات النفسية في وقتها التي تقول بأن جميع الرجال المثليين يعانون من اضطرابات نفسية شديدة.

وما نخلص إليه هو تباين الرؤى وتعدد الدراسات الموالية والمناوئة لظاهرة المثلية الجنسية وكان الاتجاه العام للبحث يمكن أن يفضي إلى نتائج علمية

دقيقة وصريحة حول الظاهرة لولا تداخل الأحكام الذاتية لمن هم على رأس المؤسسات العلمية مع الضغط المستمر للساسة وأصحاب الاضطراب "المثليين".

## 2 - قياس الشذوذ الجنسي

تتشابك القيم الاجتماعية والنظم التقنية للتقييم الكمي في بناء الانحراف وعلم الأمراض. على الرغم من أن وسائل القياس الكمي والتصنيف هي الآن حاسوبية، إلا أنها ليست أقل عرضة لسوء التقدير أو سوء الاستخدام كما كانت العلامات المرضية في الماضي ويتعلق الأمر بالخوارزميات الحديثة للتعرف على الوجه والتمييز بين الوجوه السوية والمثليّة.

يحذر ميكائيل كوسينسكي(MKosinski. ) من سوء استخدام المعلومات الحساسة التي يمكن التأكد منها من تقنية التعرف على الوجه، والتي تقوم بها الحكومات ودوائر الشرطة، برزت أبحاثه من دراسات الصور وأدوات تحليل الوجه (على سبيل المثال، المسافة بين العينين، انحناء الشفة، حجم الجبين) لتحديد ما إذا كان الأفراد يعانون من اضطرابات مثل متلازمة داون. بعد أن تم تدريب الأشخاص على التمييز بين الوجوه بوجود الاضطراب أو بدونه، حيث تم نقل نفس المبدأ لنموذج حاسوبي الذي يمكن أن يتنبأ بمدى احتمال ظهور وجه جديد. في دراستهم الأخيرة، طبق كوسينسكي ومؤلفه المشارك ييلون وانغ (Wang. Y) منطقًا مشابهًا للتمييز بين التوجه الجنسي، وكشف المصنف إلى ما يقرب من 18000 صورة للوجه من الرجال المستقيمين والمثليين. بالإضافة إلى ميزات عابرة مثل أساليب الاستمالة، وجد وانغ وكوسينسكي أن الفروق الدقيقة في الخصائص الثابتة مثل شكل الأنف يمكن استخدامها لتمييز الأشخاص المغايرين جنسياً من المثليين جنسياً. في حين أن هذه الطريقة في التصنيف هي تطور حديث، فقد تم تصنيف المثلية الجنسية منذ فترة طويلة وتصنيفها وتقييمها كميا، كما أن المظاهر الحديثة لتصنيف المثلية الجنسية هي امتداد لهذا التاريخ.

تهدف هذه الوجوه التي تم إنشاؤها بواسطة الكمبيوتر إلى توضيح الوجوه النمطية للوجه المستقيم (السوي) والمثلي، مما يضخم بصريا الإشارات التي تراها الخوارزمية بأنها مفيدة في التمايز. في هذا الغرض لا يحدد كوزنسكي أبدًا الوجه الذي ينتمي إلى المجموعة التي تترك السؤال مفتوحًا للجمهور (Kosinski et al, 2018)

بدأت عملية الاهتمام بدراسة الشذوذ الجنسي في فرنسا في أوائل القرن التاسع عشر، حيث درس الأطباء الأشخاص المتهمين بالسلوك الجنسي الإجرامي. كان يعتقد أنها كانت مذنبة، أو ربما، مجرد عيوب في حد ذاتها بسبب العيوب الخلقية. مع تقدم القرن العشرين، بدأ الأطباء الألمان في تكوين نظريات (سببية) للمثلية الجنسية. على الرغم من أن ألمانيا بدأت في تبني تركيز عيادي حول المثلية الجنسية وقادت الفكر النفسي العالمي حتى الحرب العالمية، لكن مع الحرب العالمية الثانية وفكرة المحرقة النازية الألمانية دفعت بالتفكير في مرحلة ما بعد الحرب العالمية، وتحولت لغة الطب النفسي من المدرسة الألمانية إلى المدرسة الإنجليزية. بعد فترة وجيزة من توليها منصب قيادة العالم في الفكر النفسي، وصفت جمعية الطب النفسي الأمريكية المثلية الجنسية بأنها مرض عقلي.

في كتابه البارز الذي صدر عام 1950 بعنوان "آلات الحوسبة والذكاء" يصف تورينج (Turing) لعبة التقليد، وهي مقدمة لما يعرفه الكثيرون اليوم باختبار تورينج. وتنطوي صيغته الأصلية على رجل (أ) وامرأة (ب) مختبئين من محقق بشري يتواصلان معه عبر النص. مهمة المحقق هي تحديد أي من الشخصين (أ و ب) هو الرجل، والذي هو المرأة. في الوقت نفسه، يهدف الرجل إلى محاكاة المرأة، على أمل أن يقود المحقق إلى التضليل. صمم اختبار تورينج الأصلي عما إذا كان المحقق سيكون خاطئًا في كثير من الأحيان أو إذا كان الجهاز سيحل محل الرجل. من هذه الزاوية، اقترب تورنغ من سؤال طويل الأمد - "هل يمكن للآلات أن تفكر؟" - وأوجز تعريفات مختلفة للتفكير" (Turing, A, 1950). تستكشف مساهمات تورينغ العلاقات بين الآلات والعقول البشرية والتعليم المنطقي، حيث قدمت آلة تورينج الإطار النظري للحساب والحساب المعروف الآن باسم الخوارزميات. لقد أدى اهتمامه في علم وظائف الأعضاء وعلم الأعصاب إلى طلائع الشبكات العصبية (عائلة الخوارزميات المستخدمة في تصنيف التوجه الجنسي في كوسينسكي) مستوحاة من طبيعة وحالة العقل.

يقوم المغزى الفلسفي للعبة التقليد بالتحقيق في الحكم والتوقع على خلفية ما يعتبر طبيعياً وإنسانياً وأدائياً. كما أنه يشكك في درجة التقليد بين

الجنسين - وربما التمديد، والتمثيل الجنساني والجنسانية على نطاق أوسع. الأهم من ذلك، يبدو أن تورينج يبحث في مسألة فلسفية أعمق عن معنى التفكير والمعرفة. توجد عدة اختلافات في اختبار تورينج، وليس من الصعب تخيل أحدها، على سبيل المثال، رجل مثلي ينتحل شخصية رجل مستقيم أو العكس. كل ما في هذا السيناريو، ماذا يعني التفكير، الحكم ومعرفة الفرق؟

وبما أن الخوارزميات تعمل على زيادة التصنيف، فإنها تخاطر بتجاوز الفحص النقدي في الوقت الذي تعزز فيه أبنية عدم المساواة المتجذرة. لم يكن التصنيف النفسي للشذوذ الجنسي كاضطراب عقلي نتيجة لدراسة طبية بل لقوى اجتماعية - سياسية، وهي حقيقة تسلط الضوء على كيفية استخدام التعريفات الطبية كأدوات لروح العصر الاجتماعي والسياسي. ويثير عمل كوسينسكي أسئلة حول كيفية اختلاس الأرقام بطريقة مماثلة لتعزيز الأفكار المتحيزة وكيفية ترابط مفاهيم الطبيعة والبيولوجيا في القبول الاجتماعي للشذوذ الجنسي. تؤكد الاتجاهات التقليدية للفكر أنه إذا كانت الجنسية المثلية وراثية، يجب أن تكون طبيعية ؛ وإذا كان طبيعية ، فيجب قبولها.

**4 - المؤسسة العلمية " الجمعية الأمريكية للطب النفسي " وإلغاء تصنيف الجنسية المثلية.**

4 -1 - المؤسسة العلمية (APA ) وتصنيف الأمراض:

يحتوي الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية (DSM) التابع للجمعية الأمريكية للطب النفسي (APA,2013) على الأمراض العقلية والطب النفسي في المحاكم الأمريكية والسجون ومراكز احتجاز الأحداث والهيئات التنظيمية والمدارس، فضلاً عن مجموعة من الخدمات الاجتماعية وشركات الأدوية. يؤثر تصنيف الدليل التشخيصي (DSM) بشكل مباشر على التمويل الحكومي لأبحاث الصحة العقلية، وعلاجات الصحة النفسية المقدمة من الحكومة، وإعانات البحوث الخاصة. يحتاج المرضى العقليين إلى التأمين الخاص لشركات التأمين الخاصة بهم معتمد من الدليل ( DSM ) لتغطية علاجهم. كما لا يمكن لشركات الأدوية ببساطة أن تصمم الأدوية للأعراض العامة المرتبطة بالأمراض العقلية، فإدارة الأغذية والأدوية تقضي بأن الأدوية مصممة خصيصًا لعلاج الاضطرابات في الدليل التشخيصي والإحصائي

للاضطرابات العقلية. لكل هذه الأسباب، فإن محتوى الدليل التشخيصي(DSM) مهما تم إلغاء تصنيف السلوكيات كاضطرابات عقلية وإزالتها من الدليل، يمكن أن تكون الوصمة المتبقية مدمرة. والأكثر من ذلك هو أن امتداد نطاق الدليل التشخيصي( DSM ) إلى ما هو أبعد من الولايات المتحدة الأمريكية، حيث إنه يطلع أيضًا على المعايير الدولية لمنظمة الصحة العالمية بشأن الصحة العقلية حيث يستخدم المارسون في مجال الصحة العقلية في جميع أنحاء العالم معايير( DSM ) والتصنيف الدولي للأمراض التابع لمنظمة الصحة العالمية (CIM ) كمراجع رئيسية.

4 -2 - عيوب ومزايا التصنيف الدولي للأمراض (DSM):

رغم أهمية التصنيف الذي أتت به الجمعية الأمريكية إلا أن هناك العديد من نقاط القوة والضعف التي تم رصدها.

4 -2 -1 - مزايا تصنيف الأمراض النفسية:

هذا المزايا هي ايجابيات اتفق عليها كل الباحثين وهي تتماشى مع الهدف العام للبحث العلمي الذي يخدم كل البشرية:

- توحيد لغة عالمية للأمراض النفسية.
- مواءمة التشخيص على المستوى العالمي.
- تبادل أحسن بين الأطباء.
- الوصول إلى إحصائيات.

4 -2 -2 - عيوب تصنيف الأمراض النفسية:

هذه العيوب هي سلبيات لا تتوقف فقط عند تتبع الثغرات الواردة في التصنيف ولكن تتعداها إلى الأضرار الناجمة من الصفة المطلقة التي جاء بها التصنيف:

- ضم الكثير من الاضطرابات العادية في خانة الاضطرابات السيكاترية أو الطبية مثل: الاكتئاب بعد الحداد. من 60 يوما كحد زمني للأعراض في (DSM4 )إلى 15 يوما فقط.

- من 60 اضطراب في التصنيف الدولي الأول للأمراض (1950) إلى 350: تضخم قد يؤدي إلى تشخيصات خاطئة.

- العلاقة: تشخيص –علاج؛ حيث إذا كان الهدف من تصنيف( DSM )هو تشخيص وليس علاج فكيف أشخص الاضطرابات ولا أضع ملمح علاجي له (توحيد التشخيص على أساس وحدة الباثولوجيا البشرية ولكن إحجام عن تقديم معالم العلاج أو رؤى عامة دليل على الاعتراف الضمني بالخصوصية).

- عدم كفاية مراعاة العوامل المؤسساتية والاجتماعية والثقافية التي تؤثر على الاختلافات في تشخيص الأمراض العقلية وكذا طبيعة الإشكال في مفهوم الطبيعي والمرضي خاصة في الصحة العقلية حسب ما أشار الباحثون في العلوم الاجتماعية والصحة العامة :مجلة الشؤون الصحية (Pierangelo et al,2013)

.

-هناك فرط تشخيص للاضطرابات الذهانية لدى السود واضطرابات المزاج في ذوي الأصول الأسبانية (تأثير العرق والحالة الاجتماعية والاقتصادية).

-اختفاء الانحراف واستبداله بـ "اضطرابات فرط النشاط الجنسي"

-إنكار للاحتكام النظري: إنكار السببية النفسية وبالتالي الاحتكام للسببية العضوية.

- منهجية تستند إلى تصويت آراء خبراء الطب النفسي (الإجماع) التي تم اختيارها بشكل تعسفي وليس على أساس الملاحظات السريرية

(HEATH, AFFAIRS ,2013). لقد ذهب الكثير من الباحثين إلى فشل المشروع العلمي للجمعية الأمريكية على غرار فرانسوا غونون "François Gonon"، الباحث في( CNRS ) في المقال الممتاز الذي أعده، وتم نشره في عدد أبريل / نيسان 2013 من مجلة l'Information Psychiatrique، تحت عنوان: "ما مستقبل تصنيفات الأمراض" العقلية؟ تُظهر مجموعة من أحدث النقاد الأنجلو سكسونيين "كيف فشل (DSM) في مشروعه العلمي، حتى من قبل أولئك الذين كانوا مسؤولين عن DSM IV وهم ( Allan FRANCES, Michael FIRST, Robert Kendell)(Gérard , Pommier ,2011)

4 -3 -إلغاء تصنيف الجنسية المثلية

مصطلح الجنسية المثلية يعبر عن تلك العلاقات التي يتخذ فيها الليبيدو موضوعا خارجيا من نفس الجنس فيتجه الذكر والأنثى لمثيلتها، وإن قصره البعض على العلاقات الذكرية(François ,Gonon ,2013) ، فهي

كذلك علاقة جنسية بين شخصين من نفس الجنس إما أن تكون في الواقع، وإما أن تكون في شكل ميل مخبأ (Larousse ,1991, p429)، وبالتالي فهي طريقة للحصول على إشباع جنسي لا تقرها الجماعة بمدى واسع يتراوح بين أنماط السلوك الجنسي التي هي شائعة نسبيا ومستنكرة غالبا اجتماعيا، وتمثل الانحرافات الجنسية السلوك الذي فيه يحصل التخلص من التوتر الجنسي بطرق تخالف طريقة الجماع السوي بالجنس الأخر بصورة مرضية أي تناسلية مثلية "Homo-gentalism" تمييزا عن العشق الميلي "Homo-erotism " (حسن حنفي، 2012، ص 111 )

لقد عرفت البشرية منذ القدم وفي مختلف الحضارات والثقافات الجنسية المثلية بمختلف أشكالها خاصة السدومية (اللواط)، واختلفت فيها الآراء والاعتقادات والأحكام حتى آخر " حكم علمي" حديث في تصنيف الأمراض النفسية.

ففي الطبعة الأولى من الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية، التي نُشرت قبل 65 عامًا، تم تقنين الشذوذ الجنسي كاضطراب عقلي حقيقي، "اضطراب في الشخصية الاجتماعية"، ولم يكن كذلك حتى عام 1987 ، بعد 35 عامًا، تم شطب المثلية الجنسية من الدليل، ولم يكن إدخال الشذوذ الجنسي في مرحلة لاحقة كمرض عقلي نتيجةً للدراسة العلمية بل بسبب تأثير القوى الاجتماعية.

كان إدراج الشذوذ الجنسي في الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية عام 1952، بعد أقل من عقد من الحرب العالمية الثانية، بمثابة قرارًا متحيزًا يرتبط ارتباطه القديم بالجريمة. حصل هذا القرار على دعم من العديد من العلماء في ذلك الوقت، بما في ذلك "إدموند بيرغلر/Bergler. E "، وهو واحد من أكثر المؤثرين، حيث كتب: "ليس لدي أي تحيز ضد الشاذين جنسياً؛ بالنسبة لي، فإنهم مرضى يحتاجون إلى مساعدة طبية ... رغم أنني لا أحمل أي تحيز، فإنني أقول: " إن المثليين جنسياً هم أشخاص محرومون في الأساس، بغض النظر عن طريقتهم السارة أو غير السارة نحو الخارج". (Drescher, J , 2015 , p04)

بعد نشر الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية، نشرت عالمة علم النفس "إيفلين هوكر/Hooker. E " دراسة تم فيها تقديم بطارية مجهولة

الهوية من نتائج الاختبار النفسي للمثليين والرجال المستقيمين إلى الخبراء الذين كُلِّفوا بمهمة تحديد المثليين وتقييم صحتهم النفسية الأقل ظاهريًا. لم يتمكن الخبراء من التمييز بين الجنسين "السوي والمثلي"، مما يشير إلى أن المجموعتين من الرجال لم تظهر أي اختلافات واضحة في تعديلات الصحة العقلية الخاصة بهم (Bergler, E, 1956, p12) وقد ساعدت دراسة هوكر على بذل الجهود من أجل رفع السرية عن المثلية الجنسية من الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية. في العام الذي أعقب نشر الطبعة الثانية من الدليل التشخيصي (DSM-II ) أي في عام 1968، تمت إعادة صياغة الشذوذ الجنسي على أنه "انحراف جنسي"، حيث جذبت أعمال الشغب في" Stonewall " انتباهًا وطنيًا، واقتحم النشطاء المثليون جنبات الاجتماعات السنوية للجمعية البرلمانية الآسيوية من 1970 إلى 1972 لمعارضة تصنيفهم العقلي Sullivan,H, (1956, p 38)

في عام 1972 ارتدى الدكتور" جون فراير/John Fryer "، الطبيب النفسي للمثليين، دور مهرج في ملابس السهرة غير الرسمية، ووصف سبب سلوكه ذلك كونه طبيبًا نفسيًا مثليًا في مهنة اعتبرت السلوك الجنسي المثلي مرضا. (Ulrichs.K, 1994, p09)

لم يعرف فراير مع بقية الناشطين المثليين: "باربرا غيتنغ/ Barbara Gittings "و "فرانك كاميني/Frank Kameny " مع "دكتور مجهول"، وهو طبيب نفسي مثلي، لكن تم تحديده فيما بعد على أنه الدكتور" جون فراير"، الذي خاطب جمهوره من زملائه الأطباء النفسيين متنكر في زي مهرج لحماية هويته في ضوء التداعيات المهنية إذا خرج، حيث تحدث عن التمييز بين المثليين النفسيين ذوي الخبرة في مهنتهم.

بعد ثلاث سنوات من حملة حقوق المثليين بلا هوادة في الاجتماعات السنوية، وافقت فرقة عمل للجمعية الأمريكية (APA) المعنية بالتعريفات والإحصائيات على مقابلة النشطاء ومراجعة الأدلة التي قدموها، مما أدى في النهاية إلى اقتراح فريق عمل خلُص إلى إزالة المثلية الجنسية من الدليل التشخيصي والإحصائي (DSM). وافق مجلس الأمناء على ذلك، لكن العديد من أعضاء الجمعية البرلمانية الآسيوية دُفعوا لإجراء استفتاء. في عام 1974، صوّت عشرة آلاف عضو

من الجمعية البرلمانية الآسيوية للموافقة على إلغاء التصنيف مع أغلبية 58٪ , (Drescher. J.2015, p 05).

إن إجراء تصويت، عملية سياسية بامتياز، حددت نتيجة التصنيف التشخيصي الذي يوضح دور المعايير الاجتماعية والسياسية في تعريف المرض، في رسم الخط الفاصل بين الصحة والمرض والنظام والفوضى. على الرغم من أن التشخيص الطبي موثوق به على أساس المراجعة العلمية القوية، لكن كان هناك أهم عامل محفز لتغيير التشخيص هو نشاط المثليين. كان ذلك فقط مع نشر (DSM-III-R) في عام 1987 أن المثلية الجنسية تمت إزالتها بالكامل من الدليل(Drescher.J,2007) بعد تغيير الجمعية الأمريكية في دليلها التشخيصي للاضطراب، اتبعت منظمة الصحة العالمية حذوها بشكل كبير، حيث قامت بنقل لغة اجتماعية وسياسية طبية من سياق أمريكي واضح إلى بقية العالم.

قبل حذف هذا المصطلح كاضطراب في التصنيف السالف، يجب أن نعرج على مصطلح وسيط استخدم كمقدمة لما هو آتي، إنه مصطلح: رهاب المثلية أو Homophobie (جوزيف مسعد ، 2013، ص 22)

رهاب المثلية( اوموفوبيا ) أي كره الجنس المثيل يشير إلى مظاهر الازدراء والرفض والكراهية تجاه الأشخاص والممارسات أو التصورات الحقيقية أو المفترضة للمثليين جنسيا، يعبر عن ذلك بالخوف والكراهية أو النفور أو التحرش أو العنف والرفض الفكري غير متسامح لمجتمع (L.G.B.T.) ("سحاقي" l : lesbien؛ "فرح" G :Gay؛ "ثنائي الجنس" B :Bisexual ؛ "متعدد الجنس" T :transexual). (Borillo,D, 2013, p38). لقد اعتبرت "إليزابيت بادينتر/Elizabeth Badinter" (1992 ) رهاب المثلية كآلية دفاعية نفسية وبأنها إستراتيجية من أجل تجنب الاعتراف بقسم غير مقبول في الذات، واعتبره "كاتنز كيرستوفر/Katenz Christopher" بأنه ميكانيزم دفاعي نفسي لحماية الشعور بالمروءة.

لقد رجحت كفة التدخلات الذاتية (الاجتماعية، السياسية، العلمية) اتجاه التفكير العلمي في موضوع الجنسية المثلية ودفع به إلى أقصى حد وهو الانتقال

من الدفاع عن الحقوق إلى تحويل البحوث المرضية نحو الأسوياء وذلك تحديدا بالتشكيك فيهم، وهذا التوجه يحمل في طياته خطرين:

- اتجاه نحو إعادة ترتيب قيمة تنظيم العلاقات الجنسية وبذلك بناء تصور جديد يجعل من الجنسية المثلية سلوكا بشريا عاديا وطبيعيا يمكن ممارسته وبذلك تأسيس علمي لتشريع منظومة قانونية تعاقب من يحرم على الآخر الدخول في عالم الجنسية المثلية.
- إذا كان الاتجاه الأول من الأمر هين، فإن الاتجاه الثاني الآتي هو الأخطر في مسار بناء" قطيعة" في سلسلة احتكام السلوك البشري للمنظومة الأخلاقية حيث سيرتفع سقف التصنيف إلى اعتبار المعادي للجنسية المثلية بأنه هو من يعاني من اضطراب وهو الخوف المرضي من ممارسة الجنسية المثلية.

هذا المنطق في تحويل الإشكالية من المرضى نحو الأسوياء بقدر ما ينهم من منظور البحوث النفسية (تعميم تطبيق نتائج البحث من الحيوان على الإنسان تعميم تطبيق نتائج البحث من أصحاب الاضطرابات النفسية على الأسوياء). يعتبر آخر الحيل التي يلجأ إليها العقل الغربي لإحداث الصدمات في مسار استكشاف أسرار الإنسان. (Pédinielli , J, 1994)

خلاصة القول من هذا العرض، لقد حاولنا أن نتعرض إلى أهمية ودور المؤسسة العلمية المتخصصة المثلة في الجمعية الأمريكية للطب العقلي محاولين استقراء مسيرة الجمعية:هل تصنيف الجنسية المثلية كمرض، نابع عن نتائج دراسات وقناعات علمية أم أنه صادر عن أحكام غير علمية تحت تأثير خارجي؟

### 5 -العلم بين الأخلاق والأخلاقية.

كما هو معلوم تعبر الأخلاق عن القيم المهنية الأساسية للمهنة، ففي علم النفس، تتضمن المبادئ الأخلاقية لعلماء النفس ومدونة قواعد السلوك للجمعية الأمريكية للطب النفسي أقسامًا حول الممارسة السريرية والتعليم والبحث والنشر، وهي "مجموعة مشتركة من المبادئ والمعايير التي يبني عليها علماء النفس عملهم المهني والعلمي ... وتهدف إلى رفاهية وحماية الأفراد والجماعات التي يعمل معها علماء النفس وإعلام الأعضاء والطلاب والجمهور فيما يتعلق بالمعايير الأخلاقية للانضباط "(Eric,Y.Drogin, 2019)

لكن في البداية يجب أن نضع النقاط على المفاهيم بتعريف الأخلاق ثم الأخلاقية، حيث أن الأخلاق(la morale ): تتعلق بقواعد السلوك الفردي والجماعي المعترف بها من قبل مجتمع معين عبر إجماع ضمني أو صريح متعلقة بالقيم المقبولة والحق المعترف به. إنها، إذا جاز التعبير، القاعدة "المتعالية" (أي، القانون الأعلى الذي يفرض نفسه على الضمائر، في المعنى الذي تم تفسيره بواسطة كانط (Hoffman ,L, 201, p48 )

أما الأخلاقية(l'éthique ) فتدور حول ماهية الوجود، أكثر شمولا وأكثر عمقا من الامتثال لقاعدة أو المطابقة للأخلاق، وهي تعبير عن وحدة محددة للفرد ومن المسؤولية تم افتراضها وفقًا للقيم المقبولة بمعزل عن القواعد والقانون (Michel ,Paty, 1997, p 101)

في ظل هذه التعريفات، يبدو أن الفكر الغربي يتأسس على الإسهام الجاليلي في فكرة خلو العلم من القيم حيث أن هناك طلاق بين عالم القيمة وعالم الوقائع، بيد أن المعرفة العلمية الصحيحة في الابستومولوجيا البيكونية متجذرة في القابلية للتكرار والاتفاق (هيو ليسي، 2015، ص 33) ، حيث أن المعرفة الصادرة ترتبط بثلاثة مبادئ: الحياد، التجرد والاستقلالية.

فأما الحياد فيرتبط بمترتبات المعرفة ونتائجها وهو مشتق من الموضوعية، حيث تعتبر الموضوعية أن الجنس مهما أخلاقيا، ولكن ليس للأسباب المذكورة تقليديا. في حين يعتقد البعض أن الجنس يجب أن يمارس فقط من أجل الإنجاب أو فقط وفقًا لتفويضات دياناتهم، بمعنى في منطق الموضوعية أن الجنس مهم أخلاقياً لأنه يمكن أن يعزز حياة الفرد وسعادته، فالجنس ليس مجرد عملية المتعة التي تنتج متعة حسية فورية فحسب بل هو تعبير عن احترام الذات - احتفال بنفس الإنسان ووجوده"(Rand,Ayn, 1969, p24)، بينما يرتبط التجرد بأسس قبول المعرفة، أما الاستقلالية فهي متعلقة بجوانب من عمليات وممارسات العلم التي تسهم في توليد نتاجات نظرية تجسد التجرد والحياد بدرجة عالية.

تقترح الاستقلالية أن عمليات العلم تتم وفق اعتبارات معرفية صرفة، وفق غايتي تجميع معطيات أمبريقية وتطوير المزيد من النظريات وليس من قبل تدخلات خارجية لا تتعلق بالقبول الصحيح للنظريات (هيو ليسي، 2015، ص 41)

عندما يتم جمع المصطلحين "الأخلاق" و"العلم"، يتبادر إلى الذهن موضوعان؛ إنها مسألة الأخلاقيات العلمية والأساس العلمي للأخلاق. على الرغم من أن هذين السؤالين يظلان أساسيان ومثيران، إلا أنهما ليسا الوحيدان اللذان يثيرهما التقارب، ويتعلق الموضوع الأول في شكله التقليدي بمشكلة المسؤولية الأخلاقية للعالم في ممارسة تطبيقات العلوم.

ذلك السؤال المعروف في الطب (التطبيق العملي للعلوم البيولوجية)، حيث ينظم قَسَم أبو قراط منذ العصور القديمة مدونة سلوك الطبيب عن طريق وضع مبدأ احترام الحياة، وهذا بالطبع لا يحل جميع مشاكل الأخلاق الشخصية. في حين أنه من الواضح، أن احترام الحياة يفرض أخلاقياً على السلطات التي تشكلت في حالات التعذيب المنظم أو قمع الحياة والإجهاض والقتل الرحيم سواء كان قانونياً أو محظوراً، تبقى حالات متعلقة بالضمير ". وهذا ما جعل

التطورات الدولية في الأخلاقيات تتراوح من جهود البحث من التطورات الوطنية إلى المنظمات الدولية. على سبيل المثال، حدد Leach and Oakland (2007) عدد البلدان التي تخضع لمعايير أخلاقية مشتركة للاختبار مع معايير الجمعية الأمريكية للطب النفس (Leach, M et al, 2007) ، لكن قد تكون فكرة مدونة أخلاقيات مشتركة في نهاية المطاف غير مجدية أو حتى مناسبة بالنظر إلى الفروق الثقافية التي تشتمل على مدونات الأخلاق الوطنية ذات خصوصية.

إن الأخلاق والأخلاقية ليس بالضرورة متعارضان ولكنهما متعلقان بوقائع مختلفة، فإذا كانت الأخلاق تحكم على السلوكيات فإن الأخلاقية متعلقة بالوعي الذاتي. غالبا، لا يمكن أن نحكم من الخارج على أخلاقية الاتجاه، إنها تمثل مطلبا داخليا بحيث إذا تفحصناها يمكن أن توجهنا في قراراتنا وفي أحكامنا. ما يمكن الحكم عليه هو الآثار الظاهرة، والأفعال المنجزة، ومطابقتها أو عدم توافقها مع القيم والقواعد، أي فيما يتعلق بالأخلاق. ومع ذلك، فإن الجميع يهتم بالأخلاق: فهو علامة على ما يستحقه كل فرد، إنها تنطوي على حرية الضمير العميقة.

لقد تذرع دعاة الإباحية الجنسية عموما ودعاة المثلية الجنسية خصوصا بدعاوي واهية من قبيل وراثية الفعل المثلي أو حتمية ممارسته لأنه يقع ضمن الغرائز الطبيعية حيث يقال بصفة عامة أن قانون الوراثة يصدق على الناحية

العقلية صدقه على الناحية الجسمية، وأن الابن لا يرث ملامح أبيه وحدها، ولكنه يرث أيضا عادات أبيه العصبية وخصاله الخلقية، وقد أصبح هذا الادعاء الآن محل ارتياب وعدم تصديق إلى حد كبير(هادفيلد، ج،إ ،1953، ص25)

لكن ما هو معروف تقليديا على أن الخلق مكتسب وغير وراثي، حتى أن الأبحاث الحديثة حول ما فوق الجينية:"Epigenetic " أثبتت دور السلوك المتعود عليه عبر الأجيال وكيف يتطبع وراثيا على الشيفرة الوراثية. (Frank ,S et al, 2019). إن الانحرافات السلوكية لا يولد بها الإنسان بل تكتسب ويتعلمها في البيئة الممارس فيها، فأصحاب مدينة "سادوم" المولودين بها فتحوا أعينهم على تلك الأفعال فبذلك يكون تعلمها آلي، وبالتالي فما لا يحتاج إلى توضيح أو تأكيد أننا لا نرث الشراسة والكبرياء والضعة والإدمان على الخمر والانحرافات الجنسية (هادفيلد، ج،إ ،1953، ص 13) ومن هنا انتفاء مفهوم الخطيئة " الأصلية " فقد فقدت مكانها من كتب العقائد، وهذا أوان طردها من كتب الطب.

كان التمييز بين الجنس "الطبيعي" و"غير الطبيعي"، أي الجنس "المنحرف" دائمًا جزءًا من الأخلاق الجنسية التقليدية. ففي الخطاب العادي، القول عن نوع من السلوك الجنسي أو التوجّه بأنه غير طبيعي أو منحرف لا يعني فقط أن له سمات مهمة معينة؛ عادة ما يكون عليه أيضًا إدانته، ربما بقسوة، وأيضًا ضمنيًا أن هناك سببًا موضوعيًا، سببًا تمليه الطبيعة، أساس الإدانة، حيث تتسع قائمة الانحرافات الجنسية لأنواع السلوك الجنسي التي يُنظر إليها تقليديًا على أنها غير طبيعية أو منحرفة لا تشمل فقط المثلية الجنسية، ولكن كذلك: السادية الجنسية، والماسوشية الجنسية، والاستثارة، والتلصص، والتشوق، والترانسفيستيزية ، والولع الجنسي بالأطفال، جماع الحيوانات (Igor, Primoratz. , 1999, p15).

## 6 - العلوم الاجتماعية وتداعيات الأخلاق

يتم تحديد العلاقة بين علم النفس والأخلاق من خلال ما إذا كان علم النفس مفهومًا كعلم طبيعي أو إنساني. إذا كانت الأولى، فإن علم النفس غير قادر على تحديد الضرورات الأخلاقية العالمية بسبب الانقسام بين الحقيقة / القيمة التي ترفض إمكانية اشتقاق المبادئ الأخلاقية أو السياسات الاجتماعية منطقياً من البيانات الواقعية. بالإضافة إلى ذلك، تثير حتمية التعددية

الأخلاقية السؤال حول كيف يمكن لمنهجية العلوم الطبيعية أن تختار الحقائق الأخلاقية أو السياسات الاجتماعية من مجموعة متنوعة من البدائل المفترضة. على النقيض من ذلك، حاول علم النفس البشري، الذي يؤكد على الخبرة الظاهرية كمصدر للحقائق النفسية، سد فجوة الحقيقة / القيمة. بعد الفحص الدقيق، فشل هذا النهج في اقتراح قاعدة لكيفية تحديد مجموعة القيم "الصحيحة". وبذلك نصل إلى الاستنتاج هو أن الحقائق لا يمكن أن تملي المبادئ الأخلاقية أو السياسات الاجتماعية ولكنها يمكن أن تساعد في إلقاء الضوء على عواقبها (مثل أثر المثلية الجنسية على حياة الإنسان) (Alfred, Allan, et al, 2010)

لقد ارتبط العلم بالأخلاق باعتبار أن القيم الأخلاقية لا تمثل ملحقا اختياريا، فهي جزء لا يتجزأ من الوصول إلى المعرفة، فالقيم الأخلاقية تعتمد على: النزاهة، الحقيقة والأدلة على أساس الحجج المنطقية، ولكن أيضًا على

الاستجابة لاحتياجات البشر وتحسين حالتهم، وهي الدواعي التي جعلت الباحثين الغربيين يصبون جهودهم انطلاقا من مبدأ الحرية وجلب اللذة والسعادة للإنسان بعيدا عن أي قيد ( فهل تحسن الجنسية المثلية حالة الإنسان؟).

مبدأ اللذة وحرية الإنسان في معيار الثقافة الغربية من جهة يقفان كأوزان ثقيلة تقابل هذه القيم الأخلاقية، فالمنطق الغربي الذي ينشد التطور يمارس تناقضا بل نفاقا حيث يدعي التفكيك والتعدد لكن في الحقيقة يمارسها على خلاف ذلك، فالاعتراف بالجنسية المثلية تعارض منطق التطور المدعى.

ففي مشروعه الحداثي ينقلنا الفكر الغربي إلى التفكيك والتعدد حتى بموت الإله (رزبرج نيكولاس، 2010، ص 115) والإبحار في التذرذر والتنصل من الأحادية المؤسسة للأخلاق والاجتماع والدين.

إن مبدأ الزوج(الغيرية) كأحادية تأسيسية في العلاقات الجنسية ليست فقط مبدأ كونيا ولكن حتمية بيولوجية تتلخص فيها اللذة ويتحدد فيها الهدف والغاية من الوجود (التعدد والمغايرة) على غرار معنى تلك الوظيفة في عالم الحيوان والنبات، فلو افترضنا تبني المثلية كسلوك، سنتوقع على مسار الإنسانية عبر الزمن إلا الحصول على اللذة وتضييع الغاية والوظيفة.

إن المثلية الجنسية، كالمبدأ الذي تقوم عليه الإباحية تخفق في النظرية وفي التجربة على السواء:

- فهي مستحيل من الوجهة الاجتماعية:

التعبير عن الذات واستحالتها من الوجهة الاجتماعية كون معظم المجتمع ينكر الفعل المثلي، مهما تذرع أصحابها بقولهم إننا منحنا غرائزنا لنستعملها، فيجب أن نعطيها مجالا حرا للنشاط، وأن نعيش وفق الطبيعة وبالتالي تقييد الغرائز مجافاة لها، وهذا ما تعتبره مثلا آين راند "Ayn Rand" أن المثلية الجنسية غير أخلاقية من وجهة نظرها لكنها تعتبرها أخلاقية من وجهة نظر اجتماعية لأن الجنس ضروري لحياة الإنسان وسعادته (Rand, Ayn ,1969, p 27)

- وهي فاسدة من وجهة الطب النفسي: إن فساد المثلية من وجهة الطبي النفسي أمر واقع حيث يتذرع المثليون وكثيرا من معالجيهم أن الفعل كبت سيكولوجي، حيث التخلص منه بممارسته علاجا وراحة له، فذلك مردود لأن الانفعال الغريزي يكون مرتبطا بالعقدة ومجرد التعبير "بالمسلك" عن الغريزة لا يعني أنها أُطلقت "سيكولوجيا" من هذه العقدة حيث ثبتت واقعيا أن التعبير المسلكي يضاعف مرض الحالة بسبب حدوث انقلاب فتصبح الجنسية " sexuality " مسيطرة والحاسة الخُلقية منكورة أو مكبوتة (تتضاعف المكبوتات) (Havelock, Ellis, 1948)، كما يحدث النفور والاشمئزاز عندما يكف الفاعل الجنسي المثلي عن فعله وتصبح في كثير من الأحياء ذكريات سيئة وأليمة يصاحبها حتى الغثيان عند تذكرها، فإشباع اللذة لا يؤدي بالضرورة إلى السعادة ( *Mons*, Bendixen et al, 2017)

- وهي مخالفة للمبدأ البيولوجي الطبيعي: لأن التعبير عن الذات لا يتنافى مع القانون البيولوجي الطبيعي، فالحاسة الخُلقية في جوهرها تقرير لقوانين بيولوجية طبيعية عليا، فالمجتمع يقيم القوانين الخُلقية ليحقق قوانين الطبيعة ذاته، فالغاية من الجنس ليس الاستمتاع بل مطية للتوالد والحافظ على النسل، وبالتالي، فالقانون الطبيعي ليس برانيا (من مصدر خارج الطبيعة) بل هم القانون الطبيعي الذي يطلبه العقل لأنه مكتوب على ألواح القلب، فليس هناك تعارض بين البيولوجيا وبين الخُلقية، فالقوانين الخلقية على حد تعبير هادفيلد هي تقرير للقوانين البيولوجيا العليا (هادفيلد،1953، ص 125)

إن التراجع (Regression) الذي حدث في الفكر الغربي الحداثي يخالف منطقه وما بعده (من التعدد إلى الأحادية) وهو منطق متناقض وحتى مشبع بالنفاق.

يقول المسيري إن الدفاع الشرس عن الشذوذ الجنسي والدعوة إلى تطبيعه يمكن إعادة النظر إليه لا كدعوة للتسامح أو تفهّم وضع الشواذ جنسيًا، بل كهجوم على المعيارية البشرية وعلى الطبيعة البشرية، وكمحاولة لإلغاء ثنائية إنسانية أساسية هي ثنائية الذكر/الأنثى (عبد الوهاب المسيري، 2200، ص 86 )

إن اعتماد الحضارة الغربية على اللذة كمعيار للقيمة حسب المسيري، يجعل من الجنس الغيري بحسب ذلك المعيار يصير خطرًا، لأن تلك العلاقة مع الآخر يترتب عليها عطاء مقابل الأخذ، ومسئوليات اجتماعية، بل في شقها الغائي تعني الإنجاب وتربية الأطفال، وهو ما يعني مجموعة من القيم الثابتة تتجاوز مفهوم اللذة الكاملة.

تقتضي المقاربة الأخلاقية للعلم أنها تستهدف: الباحثون المحترفون، صناع السياسات البحثية والفاعلون في التواصل الأكاديمي مما يرفع الشعور المشترك بالمسؤولية والتي سوف تسمح لتقوية (حتى استعادة) الثقة في التقدم العلمي ( Christian ,Byk , 2016) هذه المقاربة الأخلاقية البانية لاتجاه ايجابي في تفسير الاضطرابات تمثل سلطة تحكيمية من منطق العقيدة العلمية وليس من منطق ميشال فوكو الذي يعتقد بأن إخضاع الجنسانية للترتيب والتصنيف بدءًا من تلك اللحظة (عصر التنوير) ليس إلا جزءًا من محاولات السلطة الدائمة لعقلنة كل شيء، ولذلك صارت الجنسانية في الأخير امتدادًا لتلك المحاولات الحثيثة لفهم ماهية ذواتنا.

تعد المثلية الجنسية هنا بحسب فوكو نوعًا من التمرد والمقاومة لخطاب السلطة، حيث يعتقد فوكو أنَّ السلطة المعرفية هي التي أنتجت خطابًا يصنّف «المثلية» كانحراف عن التيار السائد، ومن ثم أصبحت المثلية بالتالي موقعًا لمقاومة تلك السلطة (Michel ,Foucault. , 1976, p201)

فالأخلاق ليست جملة من الصفات الحسنة التي تكمل سلوك الأشخاص وإنّما هي مجموعة من الصفات الضرورية لهذا السلوك بحيث إذا فقدها الفرد نزل عن رتبته كإنسان، وهي لا تنحصر في مجموعة جزئية من أفعال الإنسان بل

تشمل كل الأفعال فما من فعل يأتيه الإنسان إلّا وينطبق عليه الحكم بالخير والشر، وهي أخيرا انفتاح لا انغلاق، واجتماع لا انقطاع.

من هنا بات من الضروري الحديث عن حوكمة أخلاقية العلم وذلك بالإجابة على ثلاثة أسئلة مرتبطة ببعضها:

- كيف نعالج توقعات المجتمع سواء في الدول المتقدمة (مزايا تنافسية) أو في الدول النامية (الحاجة للبقاء على قيد الحياة)؟
- كيف نبني الروابط بين الاستقلالية اللازمة للعلم: حرية المعرفة من جهة والنزاهة أي مسؤولية الباحثين في مقابل الأخلاق والمجتمع؟
- كيف نوجه البرامج العلمية بجعلها مشروعة ومقبولة اجتماعيا (أي الجدلية بين القدرة التنافسية والإنصاف)؟

تكمن الإجابة بإظهار أن العلوم الاجتماعية لها تداعيات أخلاقية، وذلك عبر ثلاثة مستويات: سواء عبر الخيارات المنطوق بها في صياغة هيكل العلم، أو من الافتراضات المسبقة لعلم المادة العلمية نفسها، وأخيرًا لمعايير العلم.

إن العلوم الاجتماعية هي علم "أخلاقي" بشكل لا يمكن إنكاره، مفاهيمه تنطوي على قيم، فالآثار الأخلاقية للعلوم الاجتماعية يمكن أن تسهم في الحياة الأخلاقية، ولكن أيضا أن تكون خطرا للتضليل(Edgar ,Morin, 1982)

هذا لا يعني أن الخيارات الأخلاقية ستكون ممنوعة على العلماء، لديهم أيضا الحق، بل ومن واجبهم المشاركة في العمل الأخلاقي الذي يهم جميع أعضاء المجتمع الإنساني. ولكن ما هو مهم هو أنه إذا كان بوسع العلماء القيام بخيارات أخلاقية ويجب عليهم ذلك، فعليهم ألا يفعلوا ذلك كعلماء، ولكن كأعضاء في المجتمع. فعلمهم لا يمنحهم أي سلطة، خلافا للمعتقدات الشعبية المتكررة مرارا وتكرارا، لأنهم قادرون على أن يحكموا بالخير أو الشر، وعلى وجه الخصوص، يجب أن يكونوا قادرين على فهم طرق تفكير أخرى أكثر من المنطق الذي اعتادوا عليه. وهو ما لا يعني أن النهج الأخلاقي يمكن أن يذهب على أية حال (Serge ,Latouche, 1987)

**7 - سلطة العلم ومسؤولية العلماء.**

**الأخلاق والأخلاقيات معنيان معاً بمسألة مسؤولية العلماء، والتي يمكن طرحها على النحو التالي:**

**فيما تتمثل سلطة العلماء ومنتجي المعرفة على ما ينتجونه؟ في الحقيقة، هم ليسوا بمالكي لهذه المعرفة، وليس لهم سلطة خاصة لاستخدامها لأن كليهما، من البداية، في الواقع وفي القانون، من الملك العام. عليهم واجب الإبلاغ وهذا يعني، جلب الاهتمام العام بهذه التأثيرات المرتبطة بواجب التعليم والتدريب الأكثر عمومية، من خلال إثارة النقاشات العامة التي تتطلبها الأنظمة الديمقراطية والمشاركة فيها، العالم مثل أي مواطن لأنه ليس فوق كل المواطنين، فهم (العلماء) مثل الآخرين، لهم نفس الواجبات ونفس الحقوق.**

**لذا فإن مسؤولية الزمن المعاصر لا معادل لها في تاريخ الأفكار، إنها تُفرِّغ ذاتها من كل فكرة غائية عقلانية، من كل مفهوم عن حركة ذاتية تاريخية، وهي تأخذ باعتبارها أن الإنسان صار خطيرا على ذاته، وأنه مجازفة مطلقة، إنه "إمكان فناء"** (جاكلين ريس، 2001، ص 39)

**إن مبدأ المسؤولية هذا سيفرغ من جوهره الأخلاقي الحقيقي، وسيقابل عهد ما وراء الواجب، في مجتمع ما بعد الأخلاق، مجتمع أخلاق الحد الأدنى لدى مغيب الواجب كما يقول جيل ليبوفتسكي.**

**وبالتالي، يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار عوامل شتى: إفلاس المعنى، تهافت الأيديولوجيات والطوباويات، انتصار الفردية وأخيرا ظهور تقانات جديدة محدِثة** (جاكلين ريس، 2001، ص 12)

**فأما إفلاس المعنى فسببه الفراغ الأخلاقي الذي يعود إلى زوال المرجعيات التقليدية الممزوجة بالعدمية التي تتبدد فيها معايير الإلزام مع خسران القيم العليا لقيمتها التي تتخذها الحداثة قاعدة لتشكيل قيمها، في المقابل ظهرت الفردانية عندما تفككت الخطابات الشمولية، حيث طردت الحداثة المتعالي والمباحث الغائية لتفسح المجال ليتخذ الفرد ذاته قيمة عليا، في صورة فرد غريب عن الأنظمة والقواعد وشتى الالتزامات، حينئذ تكونت متع النرجسية أكثر من الاستقلال الذاتي وحدث انفجار الاستمتاع أكثر من غزو الحرية.**

هذا واجب توضيح للعامة لا ينفصل من واجب مماثل داخل الجامعة ومجتمع البحوث، من خلال المواجهة الحرة للأفكار، والنقاش، والتفكير ودراسة معمقة. إن عالم الأبحاث والجامعة يمتلك في مجموعه في هذا الصدد مهمة تجاوز إنتاج ونقل المعرفة بل في التفكير ودراسة هذه المعرفة في جميع أبعادها التاريخية والفلسفية والاجتماعية (Malick ,Briki ,2009, p 87)

في مشروعه ما بعد الحداثي يطرح الفكر الغربي بدائل عن الديانات السماوية والوضعية، ويقدم العلم ليس كدين بديل يحتكم إليه العقل، ولكن عقلانيته الحديثة جعلت من العقل والعلم إلهين جديدين، فالإيمان بالعقل وحده يعني أن العقل يصبح مرجعا تستند إليه المعايير المتغيرة من أجل إبراز التقدم، (طه عبد الرحمن، 2000، ص181 )، كما يقوم نزوع السيطرة والهيمنة للعلم على مبدأ آخر هو النزوع السلطوي بصفته المطلقة بانيا مصداقيته على العقل الذي يؤمن به كل إنسان(على اختلاف الدرجة)، والذي كرسته الانتصارات المذهلة في التقنية، ولكن هذه الاطلاقية تعد ضربا في أصول إنشاء خطاب علمي عن العقل الإنساني بوصفة حقيقة مشتركة بين الناس (محمد سبيلا، 1997).

منذ البداية تقلد العقل طريق العلم هروبا من الفوضوية وباحثا عن الحقيقة وعن النظام لكن شيوع المنهج العلمي والعقلي أدى إلى نشر الفوضى واللامبالاة في الحضارة الغربية وهو الأمر الذي سار عكس ما هو مخطط له، إذ كانت الحضارة الغربية باسم العلم والعقل والتقنية تسعى إلى بلوغ هدفين أولهما النظام وثانيهما تحقيق كمال المعرفة (طه عبد الرحمن، 2000، ص66)

وفي هذا المسار تجرد العلم من الأخلاق في الحضارة الغربية حيث اتجهت نحو اتجاه واحد وهو تأليه الطبيعة والعلم على حساب الدين، والأخلاق والروح، والقيم، والإنسان؛ وبالتالي أصبح الطابع المادي هو ما يميز الحداثة الغربية التي يتلخص فيها دور العلم في عقلنة الطبيعة، مستبعدا كل غائية علما أن الغائية هي مبدأ الفكر الديني.

إن إحكام السيطرة على الإنسان، واستبعاده عن الأخلاق هو اتجاه تدفعه دوافع غير علمية وغير أخلاقية، دوافع بالدرجة الأولى سياسية إيديولوجية تريد إفراغ المجتمع من القيم، من الأخلاق ومن التفكير النقدي البناء.

فأهم شيء في عصرنا هذا هو أن يتضح للإنسانية أولا: أنه لا يجوز السماح بسلوك ما بعد الحداثة الذي يسمح بكل شيء (بمعنى التسيب)، كما لا يجوز الشعور بشعار " كل شيء مباح" فيما يخص الأخلاق، بل إن هناك قواعد معينة لا بد أن يلتزم بها كل شخص، ليس فقط المواطنون والمواطنات العاديون، بل أيضا رؤساء الدول ورجال الصناعة والأساتذة في الجامعات والمخابر. وثانيا: أن يعي الناس أن هذه القواعد الأساسية مشتركة بين الجميع، أي إنها ليست سارية المفعول فقط في محيط الديانات الثلاث: اليهودية، المسيحية والإسلام، بل إن مثل هذه المعايير موجودة أيضا في الأديان الهندية والصينية الأصل

(جاكلين ريس،2001، ص 65). لقد تنصل الفكر الفكري من الأخلاق باسم حقوق الإنسان بمقاييس عالمية؛ فإذا كان العالم اتجه نحو إعلان حقوق الإنسان، فإنه من الواجب على العالم أيضا التوجه إلى الإعلان عن "إعلان المسؤوليات" التي هي واجبات يبدؤها رجال الدين ورجال السياسة ويؤطرها رجال العلم.

إن الواجب الأخلاقي لأهل العلم يتطلب الدفع بحفظ الممارسة الأخلاقية للجنس في حدودها الآدمية وليس في حدودها البشرية أي أن تتم في دائرة الأخلاق الكلية التي تضمن البقاء في دائرة القانون الطبيعي " ذكر/أنثى" الذي ابتعدت عنه العقلانية الغربية حيث راحت تدفع في منظور ما بعد الحداثة إلى نقض القانون الطبيعي الآدمي (المحكوم بالأخلاق) في العلاقة الجنسية وجعلته علاقة مثلية "أنثى/أنثى، ذكر/ذكر" بدلا من أن تكون علاقة غيرية متعدية.

إن الذين يدفعون بحق الإنسان في ممارسة لذته بحرية دون ضابط أو معيار يجب أن يفكروا أن هذه الممارسة لا تنتمي إلى مجال حقوق اللذة الأصلية بل هي عبث في نهايتها وكسر لطوق نظام الحياة المنظمة التي هي أول خطوة في إعلان الواجبات والتي عبرها نضمن نقل تراث العلاقات المرتبة في تلك المنظومة القيمية للأجيال التالية.

**خاتمة**

في فلسفة العلم هناك نزعات مهيمنتان هما: النزعة التبجيلية والنزعة التهكمية اللتان تتخذان مواقف متطرفة من العلم، تغالي في توقيره أو تسرف في التقليل من شأنه. فأما النزعة التبجيلية التي تمثلها الوضعية المنطقية فتتمعن في الإعلاء من قدرات العلم وتبدي استعدادا مغاليا لقبوله كسلطة مطلقة وحاكما أوحد لدولة المعرفة، في المقابل تسرف النزعة التهكمية في الارتياب من العلم وتعبر عن استعداد مبالغ فيه لرؤية مصالح الأقوياء وراء كل زعم علمي

(هيو ليسي،2015، ص 14). إن الإنسان بالأخلاق والعقل يتمايز عن البشر، لأن الإنسان المفكر ذو الذهن العقلاني فقط يمكن أن يمارس أيضا الهذيان والحمق (إدغار،موران، 2005، ص 89) وحتى وإن احتكمت الإنسانية للعقيدة العلمية:Scientisme وهي العقيدة التي ترى في العلم فصل الخطاب، فمن الأحرى أن يكون الاحتكام فرضا ومنهجا واحتكاما للنتائج.

لم يتم بناء الدليل التشخيصي (DSM) حول التماسك الداخلي للكيانات الموصوفة في علم تصنيف الأمراض، التي من المحتمل أن تترك نواة ثابتة، والتي يمكن من خلالها للمرء أن يفترض أنه منظم لعلم الأمراض، ولكن حول التوافق بين التشخيصات بين الأطباء استنادًا إلى الوصف الكلاسيكي الذي تم من خلاله استبعاد كل الملاحظات التي قد تتعارض مع الافتراضات السلوكية غير المعترف بها والتي تعيق هذا التوافق.

على الرغم من هذه القيود الشديدة للغاية، لم يصل التوافق أبداً إلى عتبات كبيرة، وكانت النتيجة عبارة عن توصيفات غير متماسكة، بحيث يؤدي دليل التشخيصي والإحصائي (DSM) إلى عبارات "أدائية" ليس لها أي غرض آخر سوى إدخال مفاهيم يمكن أن تعمل بدون هذا الموضوع، لكن لا شيء يبرر، إلا مما يسمح على سبيل المثال التمييز بين "إجبار شخص ما على العلاقات الجنسية" أو "الاغتصاب"، ذلك التمييز الذي يجب على المرء أن يبحث فيه عن الفرق بين هذين الفعلين وليس في المواقف الذاتية للمغتصب، وبالتالي فإن جوهر رسالة ( DSM ) هو حرف "أدائها( Performatif )أو إنشاء لغة جديدة.

**إن المؤسسة العلمية (الجمعية الأمريكية للطب النفسي) لم تحترم حدود الأخلاقية العلمية المهنية في تصنيف الشذوذ الجنسي حيث تأثرت بالقوى الاجتماعية تحت طائل الحرية الفردية وجلب اللذة بعيدا عن الاحتكام لنتائج الدراسات العلمية وهي بذلك تناقض روح التطور الذي يدعيه الفكر الغربي الحداثي وما بعده ويبقي بذلك سؤال الأخلاق أمام التحولات الكبرى في تطبيقات العلوم الاجتماعية مفتوحا وقابلا للنقاش في ظل سلطة التناقضات المعرفية التي تحكم المعرفة المهنية.**

## المراجع باللغة العربية:


1 -هيو ليسي .( 2015). هل العلم خلو من القيم، ترجمة نجيب الحصادي، ط1،المركز القومي للترجمة، القاهرة.

2 -محمد أبو القاسم حاج حمد.(2004). جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، ط1، دار الهدى، لبنان.

3 -هانز أزينك .(2013). تدهور إمبراطورية فرويد وسقوطها، ترجمة وتقديم: نجيب نشرى، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

4 -بشقه عزالدين .(2019). تحديات الأسرة الحديثة ومأزق الجيل الانتقالي، مجلة البحوث والدراسات، 16 (02)، الوادي، الجزائر، ص ص 271 - 290

5 -حسن حنفي حسنين .( 2012 )، الهوية، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر.

6 -جوزيف مسعد .(2013) . اشتهاء العرب، ترجمة : إيهاب عبد الحميد، ط1، دار الشروق، القاهرة.

7 -هادفيلد، ج،إ .(1953). علم النفس والأخلاق: تحليل نفسي للخلق، ترجمة: محمد عبد الحميد أبو العزم، ط 1، مكتبة مصر.

8 -رزبرج نيكولاس.( 2010). توجهات ما بعد الحداثة، ترجمة: ناجي رشوان، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

9 -عبد الوهاب المسيري.(2200). الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ط1، دار الفكر ،دمشق.

10 - جاكلين ريس. (2001). الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة: عادل العوا، ط1، دار عويدات للنشر والتوزيع، بيروت.

11 - طه عبد الرحمن.( 2000). سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، ط1،المركز الثقافي العربي، المغرب.

12 - محمد سبيلا .( 1997). "التحولات الفكرية الكبرى للحداثة، مساراتها الابستيمولوجية ودلالاتها الفلسفية"، مجلة فكر ونقد، المغرب.

13 - إدغار موران .(2005). ثقافة أوروبا وبربريتها، ترجمة : محمد الهلالي، دار توبقال للنشر، المغرب.

**المراجع باللغة الأجنبية:**

1- Alfred. Allan, Anthony Love. (2010). Ethical Practice in Psychology: Reflections from the creators of the APS Code of Ethics: John Wiley & Sons, Ltd. DOI: 10.1002/9780470660041.
2- American Psychiatric Association. (2013). Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders.5th ed, Washington, DC: American Psychiatric Press.
3- Bergler, E. (1956). Homosexuality: Disease or Way of Life. New York: Hill & Wang, NY.
4- Bieber. I, Dain. H, Dince, P.R, Drellich, M.G, Grand, H.G, Gundlach, R.H, Kremer, M.W, Rifkin, A.H, Wilbur,C.B.Bieber, T.B. (1962). Homosexuality. New York: NY, A Psychoanalytic Study. Basic Books.
5- Borillo,D. (2013).l'homophobie, Paris : PUF « que sais-je », n°5363, 2eme ed.
6- Brian, Camenker. (2017). the HEALTH HAZARDS of HOMOSEXUALITY. What the Medical and Psychological Research Reveals: MassResistance. Library of Congress. 2nd ed, USA.
7- Bullough,V.(1979). Homosexuality: A History. New York: Meridian, USA.
8- Byne,W. (1995). Science and belief: Psychobiological research on sexual orientation. In: DeCecco J, Parker D, editors. Sex, Cells, and Same-Sex Desire: The Biology of Sexual Preference. New York: Harrington Park Press, NY, USA. 303–343.
9- Christian .Byk. (2016). L'éthique est-elle extérieure à la science? revue Droit, Santé et Société, 4, 3 – 4.
10- Drescher.J. (2007). from bisexuality to intersexuality: Rethinking gender categories. Contemp. Psychoanal, 43:204–228. doi: 10.1080/00107530.2007.10745905 (15/08/2019).
11- Drescher, J (2015). Out of DSM: Depathologizing Homosexuality, Behav Sci (Basel), 5(4), 565–575.Published online, doi: [10.3390/bs5040565.(10/08/2019).
12- Drescher,J, Byne, W. (2016) . Homosexuality, gay and lesbian identities, and homosexual behavior. In: Sadock B.J., Sadock V.A., Ruiz P., editors. Kaplan and Sadock's Comprehensive Textbook of Psychiatry. 10th ed. Baltimore: Williams and Wilkins, MD, USA.
13- Edgar .Morin . (1982). Science avec conscience. Paris : éditions fayard.
14- Eric.Y.Drogin. (2019). Ethical Conflicts in Psychology, Fifth Edition. American Psychological Association. 3-4. https://doi.org/10.1037/0000125-001
15- Ford,C.S , Beach, F.A. (1951).Patterns of Sexual Behavior. New York : Harper & Row, NY.
16- Frank. Seebacher, Jens. Krause .(2019). Epigenetics of Social Behavior. Trends in ecology and evolution review. 34 (9), 818-830. https://doi.org/10.1016/j.tree.2019.04.017
17- François .Gonon. (2013). Quel avenir pour les classifications des maladies mentales ? une synthèse des critiques anglo-saxonnes les plus récentes. L'Information Psychiatrique, 86 (04),
Retrieved from : psychologie-m- fouchey. Psyblogs .net/... psychiatrie/ Quel_avenir_pour_les_classifications (10/08/2019).
18- Freud .S. (1953). Three Essays on the Theory of Sexuality. London: Hogarth Press, UK, Standard Edition, 7, 123–246.

19- Freud,S. (1955).The Psychogenesis of a Case of Homosexuality in a Woman. London: Hogarth Press, UK. Standard Edition Volume 18. 145–172.
20- Gérard .Pommier. (2011). La bible américaine de la santé mentale. le monde diplomatique (mois de décembre, 18-19 Retrieved from : https://www.monde-diplomatique. Fr /2011/12/Pommier/47037 .(09/08/2019).
21- George, Mendelson. (2013). Homosexuality and psychiatric nosology. Australian and New Zealand. Journal of Psychiatry, 37,678–683.
22- Heath. Affairs. (2013). Quel avenir pour les classifications des maladies mentales. Psychiatry's Complex History. 34(09).
23- Hamer, D, Copeland, P. (1994).The Science of Desire: The Search for the Gay Gene and the Biology of Behavior. New York: NY, Simon & Schuster.
24- Havelock, Ellis. (1948). Psychology of sex. LONDON: WILLIAM HEINEMANN. MEDICAL BOOKS. LTD.
25- Hoffman .L. Martin. (2001). Empathy and Moral Development: Implications for Caring and Justice: Cambridge University Press.
26- Hooker,E.A. (1957).The adjustment of the male overt homosexual. J. Proj. Tech, 21, 18–31. doi: 10.1080/08853126.1957.10380742.
27- Igor. Primoratz. (1999).Ethics and sex. Great Britain: Routledge TJ International Ltd, Padstow Cornwall
28- Katz, J. (1995). The Invention of Heterosexuality. New York: Dutton, NY, USA.
29- Kinsey, A, Pomeroy, W, Martin, C. (1953). Gebhard P. Sexual Behavior in the Human Female. Philadelphia: Saunders, PA.
30- Kinsey,A.C, Pomeroy W.B, Martin, C.E. (1948). Sexual Behavior in the Human Male. Philadelphia: W.B. Saunders, PA.
31- Kinsey,A.C, Pomeroy, W.B., Martin, C.E. (1948). Sexual Behavior in the Human Male. Philadelphia: PA, W.B. Saunders.p53.
32- Kosinski, Michal, Wang. Yilun. (2018). Deep Neural Networks Are More Accurate Than Humans at Detecting Sexual Orientation From Facial Images. Journal of Personality and Social Psychology. 114 (2), 246-257.
33- Krafft-Ebing, R (1965).In: Psychopathia Sexualis. Wedeck H., translator. New York: Putnam, NY.
34- Larousse. (1991). Grande dictionnaire de la psychologie. 1ed. Canada
35- Laumann, E.O, Gagnon, J.H, Michael, R.T, Michaels.S. (1994). The Social Organization of Sexuality: Sexual Practices in the United States. Chicago, IL: University of Chicago Press.
36- LeVay, S. (1991).A difference in hypothalamic structure between heterosexual and homosexual men. Science, 253, 1034–1037. doi: 10.1126/science.1887219.
37- Leach, M. M, Oakland, T. (2007). Ethics standards impacting test development and use: A review of 31 ethics codes impacting practices in 35 countries.. International Journal of Testing, 7, 71–88.
38- Malick .Briki .(2009).Psychiatrie et homosexualité. Lectures médicales et juridiques de l'homosexualité dans les sociétés occidentales de 1850 à nos jours. Paris: Presse universitaire de Franche-Comté.
39- Michel .Foucault. (1976). Histoire de la sexualité I . Paris : La volonté de savoir, Gallimard, coll.

40- Michel .Paty. (1997). Problèmes d'éthique et de science. Raison Présente. Paris:Nouvelles Editions Rationaliste.
41- Michel, Onfray. (2010). Traité d'athéologie, Le Livre de Poche, 2ème partie: monotheisms, Paris : Essai.
42- Mons. Bendixen, Kelly .Asao, Joy. P. Wyckoff, David. M. Buss, Leif .Edward. Ottesen . Kennair. (2017). Sexual regret in US and Norway: Effects of culture and individual differences in religiosity and mating strategy. Personality and Individual Differences, 116, 246–251.
43- Pierangelo, Di Vittorio, Michel .Minard, François. Gonon. (2013). les virages de DSM, enjeux scientifiques, économiques et politiques, Hermès revue, 2 (66), 85-92.
44- Pédinielli, Jean-Louis. (1994). Introduction à la psychologie clinique: Nathan
45- Rado .S. (1969). Adaptational Psychodynamics: Motivation and Control, New York: Science House, NY.
46- Rado,S. (1940).A critical examination of the concept of bisexuality. Psychosom. Med; 2, 459–467. doi: 10.1097/00006842-194010000-00007.
Retrieved from: https://www.healthaffairs.org/(10/09/2019).
47- Rand.Ayn. (1969). Of living death. New York: the objectivist. Inc.USA.
48- Serge .Latouche. (1987). Éthique et esprit scientifique. In: L'Homme et la société, N. 84. Éthique et science sociale. 7-16.
49- Sullivan, H.S. (1953).The Interpersonal Theory of Psychiatry. New York: Norton NY.
50- Turing .Alain. (1950).Computing machinery and intelligence Mind (en), Oxford University press, 59( 236), 433-460.
51- Ulrichs, K. (1994).In: The Riddle of "Man-Manly" Love. Lombardi-Nash M., translator. NY: Prometheus Books Buffalo.
52- Willoughby, Pamela R. (2005). Palaeoanthropology and the Evolutionary Place of Humans in Nature. International Journal of Comparative Psychology, International Society for Comparative Psychology, 18( 1),60–91
53- Wolpoff, M. H.)1986(. Describing Anatomically Modern Homo sapiens: A Distinction without a Definable Difference . In Fossil Man: New Facts, New Ideas « Papers in Honour of Jan Jelínek's Life Anniversary (eds Novotný V.V. and Mizerová, A.) Anthropos (Brno), 23, 41–53.